المحاضرة الحادية عشر: الصياغة والعرض التاريخي

1_ الصياغة التاريخية

يصل الباحث بعد شوط من الجد والمكابدة الى مرحلة انشاء الصيغة التاريخية، قبل وضعها في صورتها النهائية، وذلك بعد القيام بنقد المادة، واثبات صحتها وترتيبها، ثم الاجتهاد فيها.

يحتاج التاريخ الى صبغة وصفية للتعبير عن طبيعة ظواهره المختلفة، وينبغي أن تكون الصيغة التاريخية مختصرة ودقيقة.

انّ الحقائق المعروفة بصفة عامة بأنها موجزة ولا تعرف تفاصيلها، فالباحث لا يستطيع أن يوردها بغير هذه الصفة، ولا يمكنه أ، يجعل لها صفة التحديد والدقة القاطعة، واذا أضاف الباحث تفاصيل من عنده، فانه يباعد بينها وبين الواقع التاريخي، واذا كانت تفاصيل واقعة ما ظاهرة معروفة فمن السهل تلخيصها وتركيزها وتقديمها للقارئ في صورة واضحة.

قد يبدو جمع الحقائق أو الحوادث التاريخية في صيغة مركزة دقيقة أمرا متعلق بأسلوب العرض التاريخي، لكنه أمر أخطر وأكثر أهمية من ذلك، فهو المرحلة السابقة مباشرة على وضع التاريخ المراد كتابته في صورته النهائية، وهو احتياط ضروري للباحث في التاريخ، لكي يعبر عن حوادث التاريخ المرنة الغامضة بلغة دقيقة محددة، فلايجوز مثلا استخدام الألفظ العامة المجردة التي ربما تعطي للكتابة طابعا علميا، ولكنها تبعد الباحث عن الوقائع المحددة الدقيقة.

حتى ينشئ الباحث في التاريخ الصيغة التاريخية التي تعبر عن حادث ما ينبغي عليه أن يكون قد تبين طبيعته ومداه وأثره، والمقصود بطبيعة الحادث، المظاهر الخاصة به التي تميزه عن غيره من الحوادث، من حيث

الزمـــان والمكـــان، والظـــروف التـــي لابســـته، وطريقـــة وقوعـــه، وأســـبابه البعيـــدة والقريبة، والآثار التي ترتبت عليه.

2- العرض التاريخي:

آخـــر مرحلـــة مـــن مراحـــل هـــذا المـــنهج هـــي مرحلـــة العـــرض التـــاريخي، وهـــي ليســـت أســـهل مـــن المراحـــل الســـابقة، ولا تكـــون كتابـــة التـــاريخ ســـهلة الا حينمـــا تكـــون جميـــع الحقـــائق ماثلـــة أمـــام الباحـــث، مثبتـــة، مرتبـــة، معللـــة ومشـــروحة، وعنـــدما يتخيـــل الباحـــث موضـــوع البحـــث كلـــه كوحـــدة عامـــة، ويـــدرك الأهميةالنسبية لأجزاء البحث لمختلفة، ويحسن اللغة التي يكتب بها.

لابـــد مـــن كفايـــة ودرايـــة خاصـــة لعـــرض نتيجـــةالبحث التـــاريخي بالاســـلوب الجـــدير بـــه، ولـــيس مـــن الســـهل علـــى كـــل فـــرد أن يكتـــب التـــاريخ، أو أن يقـــوم بدراســـه أو تدريســـه، ومـــن الضـــروري أن يبعـــد عـــن ميـــدان التـــأليف التـــاريخي كلمنهو غير مؤهل لذلك.

البحـــث التـــاريخي الـــذي يقضـــي الباحـــث فـــي انجـــازه لســـنوات طـــوال، لابـــد أن يعـــرض بطريقـــة علميـــة، واذا لـــم يســـتوف العـــرض التـــاريخي الشـــروط الأساســـية الخاصـــة بـــه، فانـــه يضـــيع الفائـــدة التـــي يمكـــن أن يجنيهـــا العـــالم مـــن مجهـــود الباحـــث ومـــا توّصـــل اليـــه مـــن نتـــائج، فمـــن شـــروط العـــرض التـــاريخي أن يكـــون للباحـــث في التـــاريخ المقـــدرة علـــى حســـن التعبيـــر باللغـــة العربيـــة التـــي يكتـــب بها فعليه أن يعرف كيف يختار الألفاظ والأساليب التي تعبّر عن غرضه.

ينبغـــي ألا يكتـــب الباحـــث بأســـلوب أدبـــي صـــرف لأنّ ذلـــك ربمـــا يضـــطره الـــى تغييـــر الحقـــائق، والـــى المبالغـــة فيمـــا يكتبـــه، ويجـــب أن يســـعى (الباحـــث) لتكـــون لديـــه ملكـــة الكتابـــة، التـــي يجمـــع فيهـــا بـــين البســـاطة والدقـــة ويعـــرض

الحقائق والحوادث كما كانت أو كما فهمها. من شروط العرض التاريخي توفر الوحدة التاريخية في الكتاب الموضوع.

ينبغي للمؤرخ أن يكتب وفي ذهنه احتمال الوقوع في الخطأ، وعليه أن يبادر بتصويب مايمكن أن يكشف عنه من أخطاء اذاما ظهرت له معلومات أو أدلة جديدة، وفي كثير من الأحيان يكون تعديل احدى المسائل وتصحيحها أمرا متروكا لضمير الباحث.